الدرس التاسع:

ثم قال رحمه الله: **فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم: تُكفِّرون المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.**

ثم قال رحمه الله وقد أطال الكلام على هذه الشبهة لأهميتها وكثرة إيرادهم لها وأيضاً لانخداع كثير من الناس بها يقول: **ومن الدليل على ذلك** أي إنه من أتى بالتوحيد ومن أقر بالرسالة ثم أتى بمكفر من جهة أخرى غير الإقرار بالتوحيد وغير الإقرار بالرسالة فإنه يحكم عليه بالكفر قال رحمه الله: **ما حكى الله تعالى عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾**[1] وقد تقدم تعليقنا على قوله رحمه الله: وعلمهم ذكرنا أن ظاهر الآية يدل على جهلهم كما قال الله سبحانه وتعالى حاكياً عن موسى ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف: من الآية١٣٨) **وقول ناس من الصحابة: ((اجعل لنا ذات أنواط)) فحلف ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل: اجعل لنا إلهاً.**

وسيأتي الكلام على هذا الحديث وهو حديث رواه الترمذي بسند جيد عن أبي واقد الليثي وفيه أن بعض الصحابة رضي الله عنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للكفار ذات أنواط وهذه السدرة التي كانوا ينوطون بها أسلحتهم ويعكفون عندها يطلبون منها البركة فطلب الصحابة رضي الله عنهم من النبي ﷺ شيئاً مماثلاً فاستعظم الأمر ﷺ وقال: **((الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾))**[2] وسيأتي الكلام على هذا. فالنبي ﷺ جعل طلبهم من جنس طلب بني إسرائيل لموسى عليه السلام وطلب بني إسرائيل كفر ولا شك إذ إنهم طلبوا إلهاً يعبدونه ويتوجهون إليه بالقصد مع الله سبحانه وتعالى، وبعض الصحابة الذين كانوا حدثاء عهد بكفر طلبوا شجرة يتبركون بها كما يتبرك المشركون بالسدرة التي كانوا ينوطون بها أسلحتهم فأنكر النبي ﷺ عليهم هذا الإنكار العظيم وجعل طلبهم من جنس طلب بني إسرائيل. وفي هذا دليل على أنه من أقر بالألوهية وأقر برسالة النبي ﷺ ثم أتى ما يعكر هذا الإقرار أو ما يناقضه فإنه لا يشفع له ذلك الإقرار بل لا بد من الإيمان بالكتاب كله ومن الإيمان بما جاء به النبي ﷺ كله.

---

(١) الأعراف: ١٣٨

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن من حديث أبي واقد الليثي برقم ٢١٠٦.

ثم قال رحمه الله: **ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون: فإن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا: "اجعل لنا ذات أنواط" لم يكفروا.**

فالجواب أن تقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك وكذلك الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعلوا، ولا خلاف في أن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، ولو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب.

ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل التوحيد فهمناه أن هذا من أكبر الجهل وكايد الشيطان.

"وتفيد" أيضاً أن المسلم إذا تكلم بكلام كُفر وهو لا يدري فنبه على ذلك فتاب من ساعته، أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم، "وتفيد" أيضاً أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذه الشبهة التي أوردوها هي شبهة فرعية أوردوها على قول الشيخ رحمه الله والدليل على ذلك أيضاً ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وهي قولهم: إن هؤلاء الذين استدللتم بإنكار موسى عليهم وإنكار النبي ﷺ عليهم لم يكفروا فدل ذلك على أنه إذا أقر بالتوحيد وأقر بالرسالة وأقر بالبعث فإنه لا يضره أن يتوجه إلى غير الله سبحانه وتعالى بطلب الشفاعة أو ما إلى ذلك فالجواب على هذه الشبهة وهي استدلالهم بعدم التكفير ما قاله الشيخ رحمه الله في حكاية الشبهة: **ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا وكذلك الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا** هذه الشبهة والجواب عليها ما ذكره الشيخ: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك أي إن بني إسرائيل لم يتخذوا آلهة كما اتخذ الكفار آلهة بل لما نهاهم موسى عليه السلام امتنعوا عن هذا الطلب وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا أي إنهم لم يتخذوا شجرة ينوطون بها أسلحتهم ويطلبون منها البركة.

يقول: **ولا خلاف في أن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك ولو فعلوا ذلك لكفروا وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب.**

إذاً لا حجة فيما ذكرتم إذ إن الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوا لم يتخذوا هذه الشجرة ينوطون بها أسلحتهم ويطلبون منها البركة. وكذلك بنو إسرائيل لم يتخذوا إلهاً كما للمشركين آلهة بل انتهوا عندما نهاهم نبيهم عليه السلام.

أما بالنسبة لقصة بني إسرائيل فهي واضحة فما ذكره الشيخ جواب سديد إذا حمل أن الصحابة طلبوا شجرة يتبركون بها استقلالاً يعني يتبركون بها كما يتبرك بها المشركون. وقال بعض شُراح هذا الحديث: إن الصحابة رضي الله عنهم لم يطلبوا جنس ما كان يفعله المشركون إنما طلبوا أن يسأل النبي ﷺ ربه أن يجعل لهم شجرة مباركة فتكون مباركة شرعاً وما كان مباركاً شرعاً جاز التبرك به وهذا ذكره الشيخ رحمه الله في بعض أجوبته في الدرر السنية إلا أن ظاهر الحديث يدل على أنهم طلبوا شيئاً من جنس ما كان يفعله المشركون ولذلك اعتذر أبو واقد رضي الله عنه عن هذا الطلب في مقدمة هذا الخبر بقوله: **((خرجنا مع النبي ﷺ إلى غزوة حنين أو في غزوة حنين ونحن حدثاء عهد بكفر))** فكأنه اعتذر لما صدر عنهم من سؤال مشابهة الكفار في ما وقعوا فيه فالظاهر أن هذا المعنى هو المراد وهو ظاهر فعل الشيخ هنا وأما إذا كان على المعنى الذي ذكره الشيخ رحمه الله في بعض أجوبته في الدرر السنية فإنه لا يكون في الحديث دليل للمشركين على فعلهم إذ إنهم لم يطلبوا شركاً إنما طلبوا من النبي ﷺ أن يسأل الله أن يجعل شجرة مباركة وهذا لا إشكال فيه فما كان مباركاً شرعاً جاز التبرك به مثل ماء زمزم وغيره مما جعله النبي ﷺ مباركاً بمباركة الله تعالى له ومع هذا فنحن نعتقد أن ما جعله الشارع مباركاً في الشرع فإن بركته إنما هي من الله تعالى وليست بركة استقلالية منه كما تقدم هذا في كتاب التوحيد ودليل ذلك قول النبي ﷺ: **((إنما البركة من الله))**[(١)] فالبركة من الله تعالى ليست من أي شي آخر وإنما جعل هذا سبباً لتحصيل البركة وليس هو المستقل في إيجادها وإعطائها.

ثم قال رحمه الله في التعليق على هاتين القصتين يقول رحمه الله: **ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل**

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب من حديث عبدالله بن مسعود برقم: ٣٣١٤.

العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل: التوحيد فهمناه ! أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان: ولا شك أيها الإخوة أن هذا من أبرز ما يستفاد من الحديث فإن الصحابة رضي الله عنهم سألوا هذا وقد سأله أيضاً بنو إسرائيل مع أنهم سألوه عندما خرجوا من ظلم فرعون لأنهم سألوه في الطريق وهم قد خرجوا من مصر بعد أن دعاهم وبيّن لهم التوحيد وأتى لهم بالدلائل فبقوا معه سنوات وسألوه هذا السؤال فدل ذلك على خطورة هذا الأمر ودل أيضاً على وجوب الحذر من قول من يقول: التوحيد فهمناه بل يجب على الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى وطلبة العلم أن يهتموا بهذا العلم وأن يعتنوا به وأن يرشدوا الناس إلى دراسته وفهمه والاعتناء به ولا يلزم من عرض التوحيد أن يعرض عرضاً موحداً أو عرضاً ثابتاً بل يمكن عرض التوحيد من خلال شرح بعض آيات الكتاب أو شرح بعض أحاديث النبي ﷺ المهم أنه لابد من تعلق قلوب الناس بالله سبحانه وتعالى ومن أعظم ما يُسلك في ربط قلوب الناس بالله سبحانه وتعالى وتعليق قلوبهم به جل وعلا ذكر صفاته وذكر أسمائه وذكر أفعاله فإن أسماء الله وصفاته وأفعاله سبحانه وتعالى من أعظم ما يدل على وجوب صرف العبادة له فلذلك الاهتمام بذكر صفات الله سبحانه وتعالى وشرحها للناس وإفهامهم لمعانيها ومقاصدها وما تضمنته من أمور يحتاجها الناس هذا ما يعين على الدعوة إلى التوحيد وربط قلوب الناس بالتوحيد. المهم أن الاشتغال بهذا الأمر هو من آكد ما ينبغي للعبد ويدل على هذا أن أول دعوة الأنبياء هي الدعوة إلى التوحيد بل جل دعوتهم إلى التوحيد فالنبي ﷺ استهل دعوته الناس بوجوب إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وختمها بالتحذير من الشرك. فينبغي لنا الاهتمام بهذا والاعتناء به فإن هذا مما درج عليه السلف الصالحون وسار عليه الأئمة المهديون.

ثم قال رحمه الله: **وتفيد أيضاً أن المسلم إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ**. وهذا النص ممكن أن تضيفه إلى النصوص التي سبق وأن قرأناها عليكم في مسألة العذر بالجهل وأن الشيخ رحمه الله ليس من القائلين بعدم العذر مطلقاً . فأضف هذا النص إلى النصوص المتقدمة وهذا النص يشرح النص الذي أو الكلمة التي ذكرها الشيخ رحمه الله في أول كتابه من أنه قد يقول كلمة يكفر بها وهو جاهل بها أو جاهل بمعناها.

ثم قال رحمه الله: ثالثة الفوائد التي تؤخذ من هذه القصة **وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً** كما فعل رسول الله ﷺ فإن النبي ﷺ غلظ الأمر فقال: ((**سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم**))[1] وهذا فيه أعظم تغليظ على هؤلاء السائلين والتغليظ أيها الإخوة هو هدي المتقدمين في مسائل التوحيد فإن حذيفة رضي الله عنه عندما رأى على رجل خيطاً من الحمة فترعه ثم قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[2] وفي الحديث: ((**أن النبي ﷺ جاءه عشرة رجال يريدون أن يبايعوه ﷺ فبايع تسعة وترك واحداً كان على يده حلقة من صفر فقال: ما هذا؟ قال: من الواهنة، قال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً وإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً**))[3] وهذا فيه تعظيم الشرك وذلك أن الشرك أعظم الظلم كما تقدم فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[4] وقال النبي ﷺ لما سئل: أي الظلم أعظم؟ قال: ((**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**)) فالواجب علينا أيها الإخوة التغليظ في هذا الأمر ولكن لا يعني هذا أن يغلظ على من كان معتاداً على هذا الأمر وليس في باله أن هذا الأمر محرم أو ليس في باله أن هذا الأمر منكر بل ينبغي سلوك الحكمة فمن الناس من يغلظ عليه خاصة في بلاد التوحيد وفي البلاد التي دعاة التوحيد فيها ظاهرون ويتكلمون ويعلمون الناس التوحيد فهؤلاء يُغلظ عليهم فهؤلاء صحابة وهؤلاء أتباع رسول بالنسبة لقوم موسى أما في البلاد التي ليس فيها أهل توحيد والشرك فيها هو المنتشر وعلماء السوء هم الظاهرون في الدعوة إلى الشرك وتسويغ الشرك ودعوة الناس إليه فيكون من المناسب في هذه الحال أن يسلك الإنسان سبيلاً قاصداً وهو من الحكمة أن يدعوهم بأسلوب هادئ يشرح لهم ويبيّن لهم خطورة الأمر ويسرد لهم الأدلة من الكتاب والسُّنَّة الدالة على أن هذا من المحرمات وأن هذا من الشرك. المهم الواجب علينا أن نفعل ما هو مناسب بالنسبة لمن كان بين ظهراني أهل التوحيد وأهل الدعوة السلفية الصحيحة المبنية على الكتاب والسنة فهذا ينبغي أن يشدد عليه ويغلظ لأن هذا من تقصيره وتفريطه أما من كان بين ظهراني المبتدعة وكان بين علماء السوء الذين

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن من حديث أبي واقد الليثي برقم ٢١٠٦.

(٢) يوسف: ١٠٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده من حديث عمران بن الحصين برقم ١٩١٤٩.

(٤) لقمان: ١٣.

يسوغون الشرك ويدعون إليه فسلوك السبيل المناسب هو الأولى وهو الأحسن.

ثم قال رحمه الله: وهذا يصدق عليه قول ذلك الرجل: **وللمشركين شبهة أخرى يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله، وقال له: "أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟" وكذلك قوله: "امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"، وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل.**

فيقال لهؤلاء الجهلة: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهو يقولون: لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم على بن أبي طالب بالنار.

وهؤلاء الجهلة يقولون: إن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع؟ وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه، ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث، ولن يفهموا.

هؤلاء يصدق عليهم قول القائل:

ما زالت الشبهات تغزو قلبه   حتى تشحّط بينهن قتيلا

فهؤلاء غزت الشبهات قلوبهم ولذلك أصبحوا يتعلقون في تسويغ ما هم عليه من باطل وشرك بكل ما فيه أدنى شبهة وإلا فالأحاديث يصدق بعضها بعضاً ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾(النساء: من الآية٨٢) فالكتاب والسُّنّة من عند الله سبحانه وتعالى ولا يمكن أن يوجد فيها اختلاف كما أخبر جل وعلا في قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ استندوا إلى هذه الشبهة في تسويغ الشرك وأنه من قال: لا إله إلا الله فإنه لا يكفر وهذا تفريع عن الشبهة السابقة استدلوا بحديث أسامة رضي الله عنه أنه قتل رجلاً قال: لا إله إلا الله وذلك في إحدى الغزوات فإن أسامة رضي الله عنه تبع رجلاً فلما تمكن منه قال الرجل: لا إله إلا الله فقتله أسامة رضي الله عنه فلما رجعوا إلى المدينة أُخبر النبي ﷺ بما فعل أسامة فقال له: **((أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟، فقال: يا رسول الله إنما قالها تعوذاً، فقال النبي ﷺ: أشققت عن قلبه))** وفي بعض الروايات أنه قال:

((ما تصنع بلا إله إلا الله)) أخذ يكررها ﷺ حتى قال أسامة رضي الله عنه: وددت أني لم أسلم إلا يومئذ وذلك من شدة ما وجد من إنكار النبي ﷺ واستدلوا أيضاً بما رواه الشيخان من حديث ابن عمر: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)) فاستدلوا بهذا على تحريم دم من قال: لا إله إلا الله وعصمة ماله وقالوا: إن من قال: لا إله إلا الله فلا يكفر.

ثم قال رحمه الله: **وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل !** وهذا تكذيب لباقي ما جاء في الكتاب والسُّنَّة من وجوب الإقرار ببقية الشرائع ومن أنه قد يكفر ببعض الأفعال أو بعض الأقوال ولو كان مقراً بلا إله إلا الله.

فقال رحمه الله في الجواب على هذه الشبهة: **فيقال لهؤلاء الجهلة: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدّعون الإسلام وكذلك الذين حرقهم عليّ بن أبي طالب بالنار**، إذاً هذا أول دليل ساقه الشيخ رحمه الله على أنه قد يقول المرء: لا إله إلا الله ويكفر ويُقَاتل بسبب إنكاره شيئاً من الدين أو جحده شيئاً مما تقتضيه هذه الكلمة من وجوب إفراد الله بالعبادة ومن وجوب اتباع النبي ﷺ والانقياد لما جاء به. هذا أول ما ساقه في إبطال هذه الشبهة.

ثم قال رحمه الله: **وهؤلاء الجهلة يقولون** –هذا ثاني ما ذكره في إبطال هذه الشبهة–: **إن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله** فهم متناقضون وهذا هو وصف كل من كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ فإنه في أمر مريج كما قال الله سبحانه تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾[1] مضطرب غير ثابت ولذلك اضطربوا في هذا فكفروا من أنكر البعث مع قوله: لا إله إلا الله وأحلوا دمه وماله وهذا ثاني ما يجاب به على شبهتهم وعلى ما استدلوا به من الأحاديث ولو قال: لا إله إلا الله **وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من**

(١) ق: ٥.

الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه؟! ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث ولن يفهموا ما فهموا لأنهم لم يتأملوا و لم يأخذوا بالنصوص ويُعملوها جميعاً إنما أخذوا ببعضها و لم يفسروا قول الله بعضه ببعض وقول النبي ﷺ بعضه ببعض وإنما ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وقول النبي ﷺ بعضه ببعض لذلك فانتقوا ما يشاؤون: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[١] وقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[٢] وأما قوله: **ولن يفهموا**: لأن قلوبهم أُشربت قلوبهم هذه الشبه وعشعشت في نفوسهم فلا يتمكنون من التخلص منها إلا بتوفيق من الله سبحانه وتعالى وإلا فالدلائل على كذب ما يقولون وبطلان ما يشبهون به واضحة بينة.

ثم قال رحمه الله في الجواب على شبهتهم وهو ثالث جواب وهو جواب على ما استدلوا به: **فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام** يعني سبب قتل أسامة رضي الله عنه لهذا الرجل أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفاً ولذلك قال: ((إنما قالها تعوذاً)) **إلا خوفاً على دمه وماله والرجل إذا أظهر الإسلام** –الآن يبين الشيخ وجه إنكار النبي ﷺ على أسامة– **وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك** أي ما يخالف ما أقر به ما يخالف إسلامه وإقراره بالتوحيد.

ثم قال: **وأنزل الله تعالى في ذلك** يعني في هذا الأمر يعني وجوب **الكف عمن ظهر منه ما يدل على إسلامه حتى يتبين أمره وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾**[٣] أي: تثبتوا. قال رحمه الله: فالآية تدل على أنه يجب الكف عمن ظهر منه ما يدل على الإسلام من قول: لا إله إلا الله أو التحية بتحية أهل الإسلام.

يقول: **على أنه يجب الكف عنه والتثبت فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى:**

(١) الصف: ٥.
(٢) آل عمران: ٧.
(٣) النساء: ٩٤.

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ يقول: **ولو كان لا يقتل إذا أقرّ بلا إله إلا الله إذا قالها لم يكن للتثبت معنىً**. واضح لو كان لا يقتل لما أمرنا بالتبيّن لقال كفوا عنه وانتهينا ما احتاج أن يقول: فتبينوا لكن أمر بالتبيّن حتى يروا هل ما قاله صدق وعن قلب مؤمن بما يقول أم إنه كذب ومين.

وقال رحمه الله: **وكذلك الحديث الآخر وأمثاله** يعني يحمل على هذا المعنى أنه من قال: لا إله إلا الله لم يقاتل بل يجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يناقض ما أقر به.

ثم قال رحمه الله: **معناه ما ذكرناه أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال: ((أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!)) وقال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله)) هو الذي قال في الخوارج وهم الذين خرجوا عن الجماعة وكفروا الصحابة وقاتلوهم: ((أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد))** إذاً في هذا الحديث إخبار أن النبي ﷺ يقتل من قال: لا إله إلا الله إذا زاغ عن مقتضاها وإذا كفر بما يجب الإيمان به من شرائع الدين فإذا أتى مكفراً فإنه لا ينفعه إقراره بلا إله إلا الله فعلى سبيل المثال من سب الله لو قال: لا إله إلا الله ليل نهار وهو يسب الله فهو كافر إذا لم يتب من ذلك أو سب النبي ﷺ أو سب القرآن أو سب شيئاً من شرائع الدين فإنه يكفر بهذا الفعل فالإقرار بلا إله إلا الله يفيد عصمة الدم والمال إلا إذا تبين ما يناقض هذه الكلمة وما يبطل أثرها في حفظ المال والدم فهذا النبي ﷺ يقول: **((لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد))**[1] وما ذلك إلا أنهم أتوا أمراً كبيراً في الدين وهو تكفير صحابة النبي ﷺ والخروج عن الجماعة.

مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحاً يقول: **حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم** كما قال النبي ﷺ: تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وصيامكم إلى صيامهم وقراءتكم إلى قراءتهم لكن خاتمتهم ماذا؟ يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري برقم ٣١٦٦ وأخرجه مسلم برقم ١٠٦٤.

قال رحمه الله: **وتعلموا العلم من الصحابة لم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة** وهذا من أوضح الأدلة وأبينها على أن قول: لا إله إلا الله يعصم ابتداءً فإذا تبين ما يناقض هذا القول ويبطل أثره فإنه يعمل بمقتضى هذه المناقضة من إباحة الدم والمال، أما بالنسبة للخوارج أيها الإخوة فيظهر من كلام الشيخ هنا تكفيرهم وإن كان ليس تصريحاً فإنه قال: **لم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة**، وإن كان يمكن أن يقال: إنها لم تنفعهم في عصمة دمهم ولا يلزم من هذا تكفيرهم إذ إنه قد يباح الدم فيما دون الكفر.

ومسألة تكفير الخوارج للعلماء فيها قولان في مذهب أحمد ومالك والشافعي ففي قول لهم أنهم كفار لتكفيرهم الصحابة ولخروجهم على الجماعة وللأقوال المبتدعة المنكرة التي قالوها. والقول الآخر: أنهم لا يكفرون بل هم ممن أباح النبي ﷺ دماءهم إذا اجتمعوا على بدعتهم وخرجوا على المسلمين وهم من المعتدين الظالمين الذين يقاتلون قتال أهل البغي والظلم والاعتداء.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وهذا الذي كان عليه الصحابة فلم يُنقل عن أحد منهم أنه كفّرهم لا علي ولا غيره بل لما سُئل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن الخوارج هل هم كفار؟ قال: من الكفر فروا. والظاهر أن ما ذهب إليه القائلون بعدم تكفيرهم أقرب للصواب إذ هذا القول هو الذي مضى عليه الصحابة رضي الله عنهم وهم أعلم بكلام النبي ﷺ ومقاصده.

ثم قال رحمه الله: **وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[(١)] وكان الرجل كاذباً عليهم وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه**. وهذه أيضاً شواهد لما تقدم ذكره من أن قول: لا إله إلا الله يفيد في عصمة الدم والمال ابتداءً ما لم يرِد ما يناقض هذه الكلمة فإن الصحابة رضي الله عنهم قتلوا بني حنيفة وأراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق مع أنهم يقولون: لا إله إلا الله وأيضاً قاتل ﷺ اليهود مع أنهم يقولون: لا

(١) الحجرات: ٦.

إله إلا الله إلا أنهم لم يقروا بالرسالة فلا إله إلا الله لا تنفع صاحبها إلا إذا أقر بكل ما يقتضيه هذا الدين وما جاء به النبي ﷺ فمن جحد شيئاً من ذلك فإنه لا ينتفع بها.